نوابغ المدرسة المارونية الاولى

البطريرك جرجس عميرة (تتمَّة)

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب

وكان قد ادرك ما في مساعدة المرسلين من الفائدة الروحية فالحَّ عليهم بالمجيء الى لبنان من يوم رقي الى الدرجة الاسقفية ولمَّا صار بطريركاً فتح لهم كنائس الطائفة في كل الامكنة التي يقطنها الموارنة كقبرص حيث كان الآباء الكبوشيون يكرزون في كنائس الموارنة ، الكاثوليكيين دون سواهم الخاضعين للكرسي الرسولي ، (رسالة الاب بنتَنيان الى كولبر) . وكذلك جرى في صيدا وحلب

وفي سنة ١٦٤١ تمَّ الاتفاق بين موارنة قبرص والفرنسيسكان على ان يستلم هؤلاء كنيسة الصليب في افقسيَّة قبرص ويقوموا بخدمة الموارنة

وفي جبة بشري اعطى الكرمليين دير مار الياشع المهجور ليرمموه ويقيموا فيه وعرض على الآباء اليسوعيين مثل ذلك ورغب اليهم ان يبنوا ديراً في مسقط رأسه اهدن فلم تتحقَّق فكرته الأبعد زمان طويل وبناء على ما عُرف به من الميل الى المرسلين وتقديره اعمالهم كتب اليه الاحبار الاعاظم وسفراء فرنسة في الاستانة ان يساعدهم على انشاء ارساليَّات في لبنان وجواره

هذا وكان جدب الارض وقلَّة الامطار فضلاً عن الجور تضايق السكان فكان يشكو البطريرك من ذلك في عرائضه الى الحبر الاعظم والى اصدقائه . فانه في سنة ١٦٣٦ نزل برَد في الزاوية في اوَّل تشرين الاول ثقل الواحدة اوقية وكان المطر قليلاً ، حتى ان الناس اكلت الفواكه على امها في الكروانين وبلغ ثمن شنبل القمح قرشين ونصف القرش ، ونزل بالبلاد نكبات من جرَّاء دخول عسكر الدولة لاسترجاع المال الذي كان قد ضبطه الامير علي ابن علم الدين على الحكومة فجرت مواقع فوق بكفيا كسر فيها القيسيون اليمنية في ظهور مرحانا (فوق الشوير قبلةً) ثم في المروج واخيراً طردوهم من بلاد كسروان فانهزموا الى عكار عن طريق الجرد واجتمعوا في عرقا مع رجال الامير علي بن سيفا فتعقبهم عسكر الدولة في طريق الساحل ولحق بهم في نهر البارد فانهزموا ثم كسرهم في ارض جون عكار ونهبت الجرد

اموالهم وسبت حريمهم ثم عُقد الصلح بين الامير علي والامير عساف في قرية المنية وعاد هذا الى بيروت

وفي تلك الاحوال ظهر الامير ملحم بن ... من فانهزم ابن علم الدين وتولى الامير ملحم بلاد الشوف ثم وردت الاخبار ان الحرب نشبت بين كوجك احمد باشا وشاه العجم فطابت الدولة الذخيرة اثر ذلك القحط وتلك الفتن التي ذكرناها فتسكرت مدينة طرابلس وبطل البيع والشراء واخيراً رُفع الطلب عنها . لكنَّ الحرافشة ارادوا اغتنام الفرصة لاسترجاع بلاد بعلبك فمنعهم من ذلك جيش الدولة وقتل منهم عدداً غفيراً فولّى الباقون الادبار

وحدث خلاف بين السيفية (بني سيفا) وبيت حماده لان هؤلاء ارادوا الانضمام الى مصطفى باشا متسلم طرابلس واولئك ابوا فقتلوا الشيخ احمد حماده وكاخية مصطفى باشا وجماعته . ثم حدثت وقعة اهمج بين الحمادية وبين الامير اسماعيل ومحمد بن يوسف آغا بسبب حكم جبيل الذي نالهُ اخيراً ابن يوسف آغا

وكان من نتيجة قلة المطر ان ورق التوت بلغ ثمن قنطاره عشرة غروش

فتصوّر رعاك الله حالة البطريرك الماروني وطائفته تتلاعب بهما تلك القلاقل تلاعُب الامواج بالسفينة الصغيرة لا يعرفون كيف يتدبرون حتى يأمنوا شر هذه الاحوال . فضلاً عن انهُ حدث اختلاف بين محبتي دير قزحيا بسبب الماء والزق الخرب فشكا القس حنا البري رئيس احداهما (محبسة مار مخائيل) امره الى الامير عساف بن يوسف باشا فارسل بكباشياً مع موسى بن دغيم اللكي يطلب دراهم من المطران بولس السمراني رئيس محبسة مار انطونيوس فابى ان يدفع فاستدعاهُ الامير عساف الى جبيل وانزل به انواع العذابات حتى اضطر المطران الى إرضائهم باربعة آلاف غرش والامير نهب دير قزحيا وسلب ما وجد فيه واذاق المطارنة والرهبان امرَّ العذابات . على ان الله تعالى انتقم لحبيسه وللمطارنة من هؤلاء الغاشمين انتقاماً سريعاً فان الامير عساف عُلِّق على بوابة قلعة الحصن بامر شاهين باشا وقُتل رجاله شرَّ قتلة .

ومن هَرب منهم فُتّش عليه في الاديار والقرى وباد بنو سيفا من ايالة طرابلس

ثم لما ولى نائبُ الشام الاميرَ علي بن علم الدين على بلاد الشوف طرد الخوازنة والجيشية الى بلاد جبيل . وحدث وباء في الماشية فاباد منها قسماً وافراً وجاء الجراد

الّا ان ضرره كان قليلًا ولم يمنع خصب الاغلال فبيع شنبل القمح بثلثين.

وفي سنة ١٦٣٨ قدم السلطان مراد بجيش جرار الى حلب قاصدًا بغداد فخاف ابنُ علم الدين والتجأ الى متاولة بلاد بشارة فهاجأهم الامير ملحم وقتل منهم عددًا وافرًا فاستنجد ابن علم الدين سكمانيَّةَ الشام وزحف على الامير ملحم فانهزم من امامهم وهجر الشوفَ والغرب والمتن والجرد اهاليها . وفي السنة التالية قتل ابن علم الدين في خلدة احمد آغا الشهابي المعيّن متسلّماً لصيدا . وشبت النار في زيتون الكورة فاتلفت منهُ نحو خمسين الف شجرة

فما كانت اعمال البطريرك عميرة في تلك السنوات ؟ لا ريب انهُ كان منهمكاً بدرء الاخطار عن الكرسي البطريركي وعن الطائفة وبسبب الاحوال الصعبة لم يرقَ الى الاسقفية الّا مطراناً واحدًا على اهدن هو المطران الياس بن الحاج حنا من عائلة الصراصرة(١٦٣٨) الذي ذكرنا ما عرفنا عنهُ في حاشية سبقت

وفي تلك السنة سُلخت جبة بشري وبلاد جبيل والبترون عن ايالة طرابلس وأُلحقت بالشام. وكان في هذا التدبير بعض الراحة للاهالي لانهم كانوا بعيدين عن مركز الحكومة

اما في خارج لبنان فانه أَا جاء السلطان مراد مدينة حلب التمس منهُ موارنتها ان يسمح لهم بترميم كنيسة القديس الياس وبترميم كنيسة بابلس فاجابهم الى ذلك فجدّد الموارنة سقف كنيستهم واقام الارمن كنيسة بابلس ليكون استعمالها مشتركاً بين الطائفتين

وفي سنة ١٦٣٨ انتقل الى دار الخلود في رومية المطران سركيس الرزّي وقد سبق لنا ان تكلّمنا عنهُ في هذه اللمحة ولم يُرَمّم خلف لهُ واستمرّ الكرسي فارغاً حتى سنة ١٦٤٤ وفيها سيم على دمشق يوسف ابن عميمة الكرمسداني. وكان ابن علم الدين يوالي غزواته على مشغرة والبقاع وينهب ما تصل اليهِ يدهُ

ثم حدثت في سنة ١٦٣٩ زلزلة مريعة في٢٣ ت ١ تكررت ثلاثة ايام فاحدثت اضرارًا كثيرة في البر والبحر

وفي تلك السنة قدم الاب جوان باطشتا كورتي اليسوعي يطلب تلامذة المدرسة الموارنة في رومية لان عددهم فيها كان قد قلّ فارسلهُ البطريرك جرجس عميرة الى

كسروان الى الطران يوسف حليب العاقوري واوعز الى هذا الاخير ان يتمّ باختيار التلامذة وتأهيبهم للسفر فانتقى خمسة عشر هم : فرح النوسطاني مات في البحر . وبطرس مخلوف وقد نشرنا ترجمتهُ في هذه المجلة ويوسف فليفل . وجرجس الحاقلاني . ومخائيل الكرمسداني . ويوسف بن جبرائيل العاقوري . ومخائيل بن داود من بكركي . وجبرائيل بن موسى مهنا . وجرجس بن عفيف من صيدا . وداود بن يوسف من جدليون . ويوحنا بن الياس من بيت مبارك من بطيحا . ومنصور بن بطرس الباني . وبطرس بن سمعان الطرابلسي (١

وحل بالمارونة نكبة عظيمة سنة ١٦٤٠ يوم زحف رجال متسلّم طرابلس على الجبّة للقبض على الشيخ ابي كرم الحدثي شيخ الجبة لان هذا المتسلّم بعد ان أكرمه تغيّر عليهِ فامره ان ينزل الى طرابلس فتأخر عن امتثال الامر لخوفه فارسل عسكراً انتهك حرمة الاديار ونهب القرى . ولما رأى ذلك الشيخ ابو كرم ذهب الى طرابلس فما كان من متسلمها الّا انهُ حبسهُ ثم رفعهُ على الخازوق وعرض عليهِ الاسلام فيعفي عنهُ فابى هذا الشيخ الكريم ان يبيع دينه بدنياه فأبقي على آلة العذاب وعليها مات . وجرّدت الدولة حملة على سليمان بن سيفا فهجر الاهالي قراهم واتوا طرابلس ولمّا قتل حميدانُ بن الشعار يمينَ الدين كاتب ديوان الباشا في تلك المدينة جرّد عليهِ الكاخية تجريدةً نهبت حردين وكفور العربة

فاصبحت هذه البلاد التعيسة مسرحاً تمثل عليهِ روايات دموية متتالية فلا يهنأ لاهلها عيش ولا يذوقون راحة فانّى للبطريرك عميرة ان يتفرّغ لمهام وظيفته فانهُ

---

١) اعلم ان الدويهي لم يذكر شيئاً الّا عن بطرس مخلوف ويوسف فليفل وجرجس الحاقلاني اما الباقون فمات منهم فرح في البحر قبل ان يصل الى رومية والآخرون لم يتموا علومهم الكهنوتية ولم يفيدوا فائدة تذكر . وقد عرفنا عن يوحنا بن الياس من بيت مبارك انه ذهب الى رومية مع المذكورين ولم يثبت في دعوته بل خرج من المدرسة وذهب الى البندقية حيث استوطن وتزوج . وهذا الامر مذكور في آخر كتاب الصلوات الفرضية الموجود عند الخوري اسطف يوحنا شير للّي الوكيل الاسقفي الماروني في قبرص . وقد جاء فيه ايضاً ان ابرهيم بن الخوري جرجس الغرتجي من قرية كليبني درس في رأوثة ورومية ورجع الى قبرص سنة ١٦٦٨ فرسمه الدويهي كاهناً في ٧ ايار من تلك السنة ١٦٦٣ وبواسطة يوحنا مبارك ارسل كتاب الصلوة الفرضية الى قريته

كان منصرفاً الى تخفيف تلك الويلات وهيهات ان يبالي اصحاب المطامع بما يلحق بالبلاد من الضرر والخراب

ومع ما كانت عليه الاحوال من القلق ، فتئت انظار البطريرك متجهة الى المدرسة الرومانية المارونية يرسل اليها التلامذة الذين كان يرجو من تهذيبهم الاكليريكي وعلومهم خيراً جزيلاً لطائفته ففي السنة التي تقدم ذكرها بعث الى تلك المدرسة مرهج بن غرون الباني (١ اخا نقولا ويوحنا

وفي سنة ١٦٤١ أرسل ايضاً الى رومية اسطفان الدويهي الشهير (٢ الذي كان لفت نظر المطران الياس الاهدني فتنبه فكر البطريرك اليه . ولم يسافر الدويهي وحده بل بعث البطريرك معه يوسف الرامي (٣ واخاه بطرس (٤ ولدي اخت القس سمعان

١) مرهج بن غرون Faustus Nairon ولد في بان (جبة بشري) في سنة ١٦٢٥ ارسله البطريرك جرجس عميرة الى رومية ١٦٤٠ حيث درس العلوم الكهنوتية . رجع الى لبنان فوصله في ١٦ ت ١ سنة ١٦٤٩ مع الخوري مخائيل الحصروني قاصد البطريرك يوحنا الصفراوي . وكان هذا البطريرك في بكفيا فارسل الى لقائهما جمهوراً مع المطارنة والكهنة لانهما كانا آتيين بدرع البطريركية ثم رقاه البطريرك الى درجة القوسية وبعد مدة اقامه وكيلاً لهُ في رومية وارسله اليها مع ارسة اولاد (١٦٥٠) للمدرسة المارونية . خدم الطائفة وبطاركتها بكل امانة وحكمة . الف كتباً جزيلة الفائدة منها واحد في اصل الطائفة المارونية وآخر في « اسلحة الايمان الكاثوليكي » (Evmplia) كتب سيرة القديس اوسطاكيوس وصنّف كتاباً في شجرة البن ومنافع القهوة وعني بتنقيح الاناجيل وسائر اسفار العهد الجديد وبطبعها مع القس يوسف الباني واستهلها بمقدمة جزيلة الفوائد

درّس العربية والسريانية في مدرسة مجمع نشر الايمان وفي دار العلوم العليا . وكان علائق كثيرة بينه وبين العلماء منهم ده لاروك . قال عنه الدويهي انه كان بعيد النظر رصين العقل فنال محبة البلاط الروماني . وقد قرظ الاب مخائيل نوعه كتاب مرهج بن غرون في اصل الموارنة ومثله فعل يوسف الباني في ابيات سريانية تلاعب فيها بكلمتي (هذه وهذه) . انتقل الى راحة الابرار سنة ١٧١٢ وله من العمر ٨٧ سنة . وعنه قال القس الياس القزيري :

والكاهنين الحقيقة مرهج ومتى الباليسة وكلاكرامي البطركية برومية عند البابسة

٢) راجع ترجمته للطيب الذكر المطران بطرس شلهي

٣) يوسف الرامي درس الفلسفة سنتين ثم مرض فاسرع الاطباء بالرجوع الى وطنه فبرح رومية ١٦٤٩ وترهب في رهبنة مار انطونيوس وسيم قساً ثم اعتنى بتعليم الاحداث في عشقوت وبكفتا وقبرص وبيت شباب وانشأ في اوائل ١٧٠٢ دير مار جرجس بحردق بارض بيت شباب وسيم عليه بردبوطاً وكان طويل الاناة

٤) الشدياق بطرس الرامي تزوج في بيت شباب وفيها مات

التولاوي (١ وبطرس (٢ بن القس ابرهيم اميّة من اهدن نسيب البطريرك عميرة ووكل امر السهر عليهم الى القس سمعان المذكور فبلغوا رومية تلك السنة في شهر حزيران وكان عمر اسطفان احدى عشرة سنة

ولا تظن ان احوال الموارنة في قبرس كانت افضل منها في لبنان فان الاروام كانوا يُنزلون بهم انواع الحيف ويضطرونهم الى الخضوع لولايتهم ولا تعجب ان كان الضعف البشري استولى على بعض هؤلاء الساكنين فخافوا الظلم والعذاب وسألموا اوقافهم للاروام ودفعوا لهم العشور

وكان الخوري جرجس واقاربه (لعله الخوري جرجس الترجمي) قد خدعهم الاروام فسألموهم سنة ١٦١٥ كنيسة السيدة في كفالوريزو بعد ان تبعوا طقسهم وخضعوا لاسقفهم فسعى الخوري بطرس خادم تلك القرية جهده لاسترجاع الكنيسة وقد توفق الى ذلك بعد ان انفق مالاً كثيراً اذ نال فتوى تعلن ان الكنيسة للطائفة المارونية لا للخوري جرجس المذكور وارسل الفتوى الى الاستانة موقعاً عليها من علماء كثيرين فحصّل خطاً شريفاً بارجاع الكنيسة الى الطائفة وكان الخوري المذكور ذا غيرة وسطوة

١) القس سمعان بن هارون التولاوي من تلامذة مدرسة رومية رجع الى لبنان ١٦٥٥ ترى رسمه مع مشاهير المدرسة الرومانية أكمل فيها علومه ثم انخرط في سلك رهبان مار انطونيوس وامتاز بسيرته النقية وتوفي برائحة القداسة . ترجم الشرطونية من اللاتيني الى العربي وعنه قال القس الياس القزيري في زجليته المشهورة :

وقسيس سمعان تولاي كان قديس بالرهباني ارسده يطلب من شاني حتى انجو من الحنيه قبره في بشمه موجود بلرق الحايط هو تمدود كنيسة العذرا ام الجود يشفي وجع البردبه قبره يقصده الاعوام الموجوع فوق منه ينام يوم واحد من الايام يشفيه من كل وجيه قبل موته بيوم واحد انباه الله واكتد كهنة بتملي فيه تشهد وهيهم اكابر مسيحيه وهو كان معروف بسيرته من الطاعة ومن غيرته حافظ قانون رهبانيته في الطهارة والعفيه

٢) بطرس بن اميه ولد سنة ١٦٣١ ارسل الى رومية سنة ١٦٤١ درس فيها المنطق والفلسفة واللاهوت الادبي ثم اعيد الى لبنان بسبب اعتلال صحته وسيم كاهناً واقام في دير مار قبريانوس في اهدن. كان جيد الخط في العربي والسرياني والافرنجي عيّنه البطريرك الدوجي كاتباً عنده وفي ٣١ تموز ١٦٨٠ رقاه الى مطرانية صيدا بحضور معاونة المطرانين جرجس حبقوق البشعلاني والمطران يوسف شمعون الحصروني فخدم الرعية بكل تقوى ونشاط ثم مرض في البهلولية من اعمال اللاذقية حيث كان البطريرك الدوجي انفذهُ لزيارة الرعية فحملوه الى وادي صفرا حيث انتقل الى دار الخلود في ٦ ايار ١٦٨٣

وقد سبق لنا ان ذكرنا الاتفاق الذي جرى بموافقة البطريرك جرجس عميرة بين موارنة قبرس والفرنسيسكان على ان يتسلّم هؤلاء كنيسة الصليب في الاسقفيّة ليقوموا بخدمتها الروحية لان الموارنة كانوا دائماً قليلي العدد في العاصمة يلجأون الى الجبال بعيداً عن مقامات الحكومة

وجرت في لبنان في تلك السنة مواقع بين المتاولة والامير علي بن علم الدين الدرزي فظفر بهم في وادي غبالة وطردهم من تلك البقعة واقام فيها فريقاً من الموارنة . ولم تكن السنة الحالية اوفر راحة على لبنان فانهُ عدا القتال المتواصل بين ابن علم الدين والمتاولة خطر ببال محمد باشا الارناؤوط الذي ولي على طرابلس ان يعمّر قصراً على نهر دشعين ففرض على الرعايا « شاشات ويوابيج » اي ما يبلغ ثمن كل منها وقدرت الشاشة باربعين قرشاً والبابوج بعشرين وسخّر السكّان للبناء وكثر البلص ومحلّ القز حتى ان كثيرين تركوا مواسمهم وبلادهم ورحلوا من الجبة

رغم كل هذه الاضطرابات لم ينفك البطريرك عميرة عن الاهتمام بالمدرسة الرومانية بل كان يواصل ارسال التلامذة اليها فانهُ في سنة ١٦٤٢ ارسل اليها يوحنا بن غرون اخا مرهج ونقولا فاكمل علمه فيها وتولى تدبير مدرسة رومانا ولمّا ابطلها الحبر الاعظم سُلّمت الى تدبيره خزانة الكتب في مار بطرس (١٦٦٣) بعد موت نسيبه ابرهيم الحاقلاني (١

وفي ما نشره حضرة الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المشرق (١٩٠٤ ص ٣١٤الخ) عن دير حراش ترى ان هذا الدير اشتراه سنة ١٦٤١ المطران يوسف حليب العاقوري بموافقة البطريرك جرجس عميرة ووقفه لا للراهبات فقط بل لتعليم عشرة صبيان ايتام من الطائفة وجعله تحت ولاية البطريرك ورئيس دير مار شليطا مقبس

وفي سنة ١٦٤٣ في ٨ آذار جاء الكرملتان الى لبنان نهائياً واقاموا في دير مار اليشاع بشري الذي وضعه البطريرك والاهالي تحت تصرّفهم

وكتب الاب امير اليسوعي الى الرئيس العام الاب موتسيو فيتالاسكي يستشيره فيما اذا كان يوافق ان يطلب هو ايضاً من البطريرك الماروني جرجس عميرة احد الاديرة

١) سننشر لمحة عن حياته

المتروكة لكي يصلحه ويقيم فيه مرسلون من رهبنته فلم يستصوب الرئيس العام هذا الرأي

ومما اقترحهُ الاب المذكور انشاء مدرسة اكليريكية اعدادية للموارنة في طرابلس يتمُّ فيها بتهذيب التلامذة الاباء اليسوعيون وتُسلَّم العناية بالطقسيات والامور المادّية الى كهنة موارنة فيرسَل النابغون من التلامذة الى رومية لتتميم دروسهم. والحق يُقال انها لفكرة جليلة جديرة بكل ثناء. وقد كان السيد الياس الحويّك الجالس سعيداً على الكرسي البطريركي الانطاكي قد خطر بباله مثل هذا الفكر واراد ان يحققه باقامة مدرسة اكليريكية في بيروت يشابه تنظيمها ما اقترحه الاب اميو المذكور فحالت دون تتميم رغبة كليهما عقبات

ولما تولّى حسن باشا ولاية طرابلس وكان كاخيته ابو رزق البشعلاني انزل هذا الحاكم بالبلاد بلايا كثيرة وحلَّ بالرعية ضيق شديد فتشتّتوا من مواطنهم وترك البطريرك قنوبين هارباً الى كسروان والشوف كما فعل سالفه البطريرك مخلوف. وقد ذكر الاب اميو اليسوعي في رسالته المؤرخة في ٢١ آذار ١٦٤٤ انهُ رأى البطريرك جرجس عميرة في بيروت هارباً من جور باشا طرابلس الذي كان يضطهده وقابله الاب المذكور في تلك المدينة واشار عليه ان يكتب الى ملك فرنسة طالباً منهُ ان يوصي به وبطائفته سفيره في الاستانة حتى يحصّل امراً من الصدر الاعظم بكفّ الظلم والاضطهاد. ففعل البطريرك بمشورة الاب وكتب الى الملك فاجابه الى طلبه واوعز الى السفير ان يُعنى شديد العناية بالموارنة واكليريسهم

وفي ١٥ ايار ليلة عيد العنصرة انتقل من دار الشقاء الى دار البقاء الحبيس الافرنسي والعالم الشهير فرنسيس ده شطريل بعد ان قضى في محابس لبنان اثنتي عشرة سنة مثابراً على اعمال التقشف والنسك منقطعاً الى مطالعة الكتب المقدّسة حتى اصبح قدوة الجميع بفضائله ومرجعاً لهم في مشكلاتهم. وكانت روابط الصداقة تربطه بالبطريرك جرجس عميرة الذي أعجب بصفاته وعمله حتى انهُ كان يستشيره في الامور المعقدة ويطلب صلواته. كما ان الحبيس التقي كان يقدّر فضل البطريرك حق قدره ويثني عليه كل الثناء (١

١) راجع حياة هذا الحبيس التقي في مجلة المشرق للاب بطرس ساره اللبناني (١٩٣٢)

وكان لموت الحبيس المذكور تأثير مفجع في قلوب اهل البلاد وخصوصاً في فؤاد صديقه البطريرك عميرة الذي كانت الشدائد والاضطهادات انهكت قواه فضلاً عن عبء الشيخوخة فما لبث ان برح هذه الفانية هو ايضاً بعد موت صديقه بشهرين ونصف اي في ٢٩ تموز ١٦٤٤ في اليوم الذي انتقل فيه الحبر الاعظم اوربانوس الثامن الى راحة الصالحين فشمل الحزن طائفته ومعارفه العديدين ويكفينا ان نذكر هنا ما وصفه به عارفوه حتى نعلم عظم الخسارة التي حلّت بالطائفة المارونيّة بموته

قال صاحب ترجمة ده شطويل عن هذا البطريرك وفي كلامه موجز حياة عميرة الذهبية المملوءة من اعمال الغيرة: «ان الرجل الشهير جرجس عميرة ارتقى الى السدة البطريركية بفضله وهو الذي كان الموارنة بل شعوب جبل لبنان كلها يعتدُّونه كابيهم فانه كان عضد الديانة الكاثوليكية وقام بمهامّ وظيفته سنوات عديدة حائزاً استحسان الجميع عائشاً بزهد كلي دعاه الله اليه ليمنحه جزاء اعماله الصالحة فشمل الحزن والاسف كنيسة جبل لبنان لانها حُرمت اقوى سندلها وخسرت خسارةً تكاد لا تعوَّض بما ان الطيب الذكر كان متصفاً بصفات نادرة وحاصلاً على منزلة عالية فانه كان مملوءاً حكمة وعلماً يضيء كالمنارة في كل مكان. بلغ تواضعه واعتداله مبلغاً اكسبه قلوب كل من وصل اليهم نوره. وكان متحلياً بفطنة نادرة لمعرفة الارواح والتمييز بينها تلك الارواح التي ينقاد اليها البشر في اعمالهم وكانت غيرته تتجلى في كل ما كان يبذله من المساعي لحفظ قلوب المؤمنين في جادّة التعاليم الانجيليّة الصحيحة يمزج الصرامة بالرفق فيحمل القلوب الاشدّ صلابةً على الانقياد اليه صاغرة راضية. وكان يعتبر الفقراء اخوته يرقب دائماً حاجاتهم ويخفف من وطأتها قدر المستطاع ويضطرّ الاغنياء بمثله على ان يساعدوهم. وكان راعياً امينا يرعى قطيع المسيح لا يفتش عن القوت يملأ به جوفه. ولم تكن المشقات وسواها من المتاعب كالسهر الدائم والاهتمام المتواصل المرتبطة بوظيفته لتُقعده عن التيقظ الواجب ليُقصي الذئاب والاسد الزائرة التي كانت تسعى الى افتراس رعيته. وبوجيز العبارة نقول انه كان راعياً عجيباً ممتازاً بصفات نادرة حتى انهُ خُيّل الى الجميع حين دُفن ان قد أُلحد معه كل الذين كان يمكن ترقيتهم الى البطريركيّة»

والنبذة المستوفاة التي نشرها بعد ذلك على حدة

واطرأه الابوان مانيليه وستلا اليسوعيان ووصفه دي لاروك بقوله انهُ انتخب للبطريركيَّة بداعي فضله الممتاز وتفوّقه في اللاهوت وسيرته الطاهرة. وأيد هذه الشهادات الحبر الاعظم الذي دعاه نور الكنيسة الشرقيَّة وعمادها في رقيمه الى البطريرك يوحنَّا مخلوف واثنى عليه ثناء مستطاباً في براءة التثبيت

وقال عنهُ الدويهي انهُ كان ذا عقل رصين فائق وافر العبادة شديد الغيرة على نموّ الايمان المقدَّس أرشد قومه بكل تقوى

وذكر الخوري يوسف مارون الدويهي انهُ سنة انتقل البطريرك يوحنَّا الصفراوي ١٦٥٦ الى دار البقاء فتحوا مغارة القديسة مارينا في قنوبين حيث كان يُدفن البطاركة فشاهدوا جسد البطريرك جرجس عميرة بعد نياحته باثنتي عشرة سنة كانه حيٌّ يُرزق ماسكاً بيده الكأس وعلى رأسه التاج وهو جالس على الكرسي فاخذوا الكأس وابقوها ذكرًا في الكنيسة البطريركيَّة

وهاك تقريظه باللغة اللاتينيَّة وضعهُ تلامذة المدرسة المارونيَّة بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس تلك المدرسة ندرجه باللاتينيَّة ونتقله الى العربيَّة صوناً لهُ من الفقدان وقد وجدناه في كتاب عزيز جدًّا منهُ نسخة في مكتبة الاباء اليسوعيين الشرقيَّة

Ales Hospes— Hic lingua praestantior,— An ingenio fuerit, incertum est. — Linguas calluit omnes — Nec immeritò ; — Vitiis olim linguarum confusio : —Virtuti nunc linguarum cognitio debetur.— Ingenio Divinitatis latebras pervasit, — Quin viso caligaret a lumine. — In hoc etiam cum virtute consentiens,— Quod impios hostes habuerit. — Felix quod aliis, sibique imperaret : — Felicior, quod Cœli Vicario, nec citra periculum paruerit.

انصت الينا ايها الضيف (المدعو الى الحفلة)

لا يمكن الجزم في هل تفوّق (الممدوح) في اللغات او بالذكاء. فانهُ امتاز بكل صواب في جميع اللغات. ان بلبلة الالسن سببتها الرذائل في ما مضى واما معرفة اللغات الان فهي ثمرة الفضيلة. انهُ سبر غور العلوم الالهية بذكائهِ دون ان يعمي عينه النور الذي تجلى وبهذا ايضاً يتَّفق مع الفضيلة انَّ المنافقين صاروا لهُ اعداء فكان سيدًا يتسلَّط على الاخرين كما ملك نفسه بل كان حظه اسمى لانه اطاع نائب المسيح مرضاً نفسه للاخطار

تلك حياة هذا البطريرك الجليل وهو اوَّل البطاركة الذين تهذَّبوا في المدرسة

المارونيّة الاولى فخدم طائفته كاهناً واسقفاً وبطريركاً مدّة ٤٨ سنة بتآليفه وارشاداته وامثال فضيلته الممتازة. ويزيد فضلَه رواء وعظمتَه سناء المحنُ التي قاساها في سياسة الكرسي الانطاكي

ثم انهُ كان يرغب في اصلاح ما يجب اصلاحه من الشؤون في طائفته فاضطرّ ان يسلك مسلكاً لم يَرُقْ الذين تعوّدوا ان يسيّروا البطريرك على مقتضى مشاربهم واغراضهم الزمنية

ولمّا كان يسعى في توثيق العرى التي تربط طائفته بالكنيسة الرومانية ويجتهد في ان يدخل اليها الاصلاح الواجب حتى تصبح صورة كاملة لتلك الامّ والمعلّمة اقام خصومه العقبات في وجهه ولا يبعد ان يكون قد وُشي بهِ انهُ ممن يريدون ان يخضع طائفته لسلطة اجنبيّة كما حدث مرارًا في تاريخ الطائفة المارونيّة. وقد سردنا امثالاً لذلك في كتابنا «صديقة ومحامية»

ولذا تعرقلت بعض مساعيه على انهُ لو لم يكن ذا فضيلة فائقة وحكمة نادرة وغيرة رسولية وعلم واسع واهابة عظيمة لتعذّر عليهِ اتيان عملٍ ما من الاعمال التي تشهد بتفوقه

فذكرُ هذا البطريرك جدير بان يردّده المؤرخة بفخر لانهُ شرّف الكرسي البطريركي بمناقبه السامية وجعل للمؤرخة سمعة طيّبة في الغرب بتآليفه وخدم الطائفة خدمات جلّى فاستحق اطراء الدوبيي واستوجب اعجاب الاجانب الذين عرفوه مرسلين كانوا او علمانيين. ولذا نشرنا حياته لئلّا يُطمس على فضل الرجال الذين خدموا وطنهم والكنيسة فنقتني جميعاً آثارهم المجيدة

وليُسمح لنا ان نضيف الى ما تقدم التقريظ الذي استحقهُ المطران بطرس ضرميط مخلوف وقد عثرنا عليهِ في الكتاب الذي ورد ذكره بعد ان كنا نشرنا ترجمة هذا الحبر الابرّ

In sacro S. Antonii Sodalitio - Præclarissimus Cœnobita—Depressit in claustro animum, — Ut supra mortalem conditionem attolleret. —Plurima extruxit Cœnobia, quibus etiam præfuit.—Sed quamdiu cum eius moderatione pugnandum fuit! — Renuit aliis præesse, simulque — Dignissimum se facit, vt præsit:—Nihil ab illo magis ex

despicientia factum est, — Quam imperare. — Cæterum ita Cœnobia administravit invitus — Ut vel inde apparuerit, felicissimam esse Rempublicam — Quæ a nolentibus gubernaretur.— Inde Archiepiscopus Nicosiæ renunciatus—A Schismaticis oppugnatus sæpius fuit,— Nunquam expugnatus. — Religionis cultum — Scriptis, colloquiis, sed magis exemplo ampliavit

راهب فريد في رهبانية القديس اطونيوس قد قهر نفسهُ في المحبسة كي يرفعها فوق حالة الانسان المائت. بنى اديرة كثيرة وترأس عليها ولكن كم اقتضى لذلك من التغلّب على تراضعه. ابى ان يرئس الغير وبالوقت ذاته اهّل نفسه لان يكون رئيساً ولم يكن أكرَه اليهِ من ان يتسلط على الغير فضلاً عن انهُ أرغم على ترؤس الاديرة حتى اظهر بعمله ان احوال الجمهور تكون على غاية ما يُرام اذا ادارها من لا يريد السيادة . ثم جُعل مطراناً على اقفسية فاكثر المتفضلون من اضطهادهِ لكنهم لم يقووا عليهِ. نشر اعلام الديانة وبسط نفوذها بكتاباته ومحادثاتهِ وخصوصاً بامثالهِ

وقد رُوي لنا ان المطران مخلوف مدفون في دير مار يوحنا زكريت الذي كان قد رممهُ فاثبتنا ذلك صوناً لهُ من الضياع

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٨ حُنَين الحيري الشاعر المغني

﴿تعريفهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢ : ١٢٠) : «حُنَين بن بلوع الحيري مختلفٌ في نسبهِ فقيل انهُ من العباديين وقيل انهُ من بني الحرث بن كعب